محمد بن مصطفى أفندي المعروف بقاضي زاده (ت ١٠٤٥هـ)، وجهوده في الرد على أهل البدع

د. زينب بنت إبراهيم بن سليمان الخطاف

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة القصيم Qassim University

البريد الالكتروني: umyz1600@gmail.com

الملخص :

يتناول هذا البحث شخصية العالِم العثماني محمد بن مصطفى أفندي المعروف بقاضي زاده (ت ١٠٤٥هـ)، أحد أبرز المدافعين عن عقيدة أهل السنة والجماعة في القرن الحادي عشر الهجري، والذي واجه مظاهر الانحراف العقدي والفكري في الدولة العثمانية. يهدف البحث إلى إبراز سيرته العلمية ومكانته بين علماء عصره، وتحليل جهوده في تقرير العقيدة الصحيحة، ورده على الصوفية الغالية والرافضة والقدرية، إضافة إلى الكشف عن دوره الإصلاحي في المجتمع العثماني. كما يعرض مؤلفاته وآراءه الفكرية، ويبين أثره العلمي في الحفاظ على الهوية الإسلامية. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستقرائي الوصفي، للوصول إلى نتائج تسهم في إبراز قيمة هذا العالم ودوره في تجديد الخطاب العقدي والإصلاح الديني.

الكلمات المفتاحية : الحالة السياسية والاجتماعية، الحالة العلمية، الحالة الدينية، الرد على أهل البدع، حركة قاضي زاده الإصلاحية، مؤلفات قاضي زادة .

(Muhammad ibn Mustafa Effendi, known as Qadi Zadeh (d. 1045 AH), and his efforts in refuting heretics)

Dr. **Zainab bint Ibrahim ibn Sulayman al-Khattaf**

Assistant Professor in the Department of Contemporary Islamic Creed and Schools of Thought Qassim University

E-mail: umyz1600@gmail.com

Abstract

This study examines the Ottoman scholar Muḥammad ibn Muṣṭafā Efendi, known as Qāḍīzāde (d. 1045 AH / 1635 CE), one of the most prominent defenders of the creed of Ahl al-Sunnah wa'l-Jamāʿah in the eleventh century AH. He firmly confronted various doctrinal and intellectual deviations within the Ottoman state. The research aims to highlight his scholarly career and his status among the scholars of his time, analyze his efforts in affirming orthodox belief, and his refutations of extremist Ṣūfīs, the Rāfiḍah, and the Qadariyyah, in addition to uncovering his reformist role in Ottoman society. It also discusses his writings and intellectual views, and demonstrates his scholarly impact in preserving the Islamic identity. The study adopts an analytical, inductive, and descriptive methodology in order to reach conclusions that emphasize the significance of this scholar and his contribution to the renewal of theological discourse and religious reform.

Keywords: political and social situation, scientific situation, religious situation, response to heretics, Qazi Zadeh's reform movement, Qazi Zadeh's works.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

لأهل السنة والجماعة جهودٌ مشكورةٌ في نصرة العقيدة الصحيحة والردّ والتصدّي للشيعة والصوفية والقدرية وغيرهم من أهل البدع، إلا أن الحاجة ما زالت قائمةً للردّ على هذه الفرق، لأنَّ سمومَها ما زالت تنتشر في صفوف المسلمين.

ومن العلماء الذين تصدَّوا للردّ على هذه الفرق: العالم محمد بن مصطفى أفندي، المعروف بقاضي زاده المتوفى سنة ١٠٤٥هـ، وهو من علماء الدولة العثمانية الذين كان لهم أثرٌ يُذكر في أتباعهم، وحتى في بعض سلاطين الدولة. فقد عُرف بانتمائه للمنهج الإسلامي الصحيح ألا وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة، ونبذُ البدع بشتى أصنافها، ومحاربتُها؛ فألّف هذا العالم عدة كتب في الردّ على هذه الطوائف، فبيّن في كتبه ضلالَهم وخروَجهم عن منهج الإسلام، فأردتُ أن يكونَ بحثي في بيان جهود هذا العالم الجليل وتوثيق مؤلفاته القيمة في محتواها، والمهمة في موضوعِها. وقد تبين لي بعد البحث والسؤال أن اغلبها لم يحقق حتى الآن، ورغم مكانة مؤلفها العلمية بين علماء عصره، ومنهجه المعتدل فإنه لم يُعط حقَّه من الباحثين والدارسين في نشر مؤلفاته وإخراجها والاستفادة منها.

أهمية البحث:

١- الشيخ من العلماء الذين عاشوا في عهد الدولة العثمانية، وقد كان له أثر في عصره في التعليم والدعوة إلى الله، وذلك من خلال بعض مؤلفاته وأخباره. حيث كان داعيةً إلى المنهج الصحيح المستقى من الكتاب والسنة، وكان له جهد كبير في الرد على أهل البدع من المتصوّفةِ وغيرِهم، ولم يَظهرْ كثير من آثاره العلمية رغم وجودها في خزائن المخطوطات.

٢- الشيخ غير عربيٍّ فهو تركيُّ الأصل والمنشأ، ومع ذلك بيّنَ ضلالَ الروافض والصوفية وانحرافاتِهم، وردَّ شُبههم بالأدلة الثابتة الصحيحة متبِعًا منهجَ السلف غالبًا.

٣-سدّ ثغرة علمية في الدراسات حول علماء العثمانيين غير المشهورين حيث ركزت غالب الدراسات العثمانية على مشاهير السلاطين والعلماء، بينما أهملت شخصيات إصلاحية أقل شهرة مثل قاضي زاده، وهذا ما يسدّه هذا البحث.

الدراسات السابقة:

التعريف بالشيخ لم يكن سهلا، فهو تركي الأصل والمنشأ، ولم أجد له ترجمة في كتب التراجم العربية – عدا بضعة أسطر في (هدية العارفين) –، ويعتبر هذا البحث هو أول تعريف مفصل وموثق له.

أهداف البحث:

١– التعريف بالشيخ قاضي زاده المتوفى سنة ١٠٤٥.

٢– ابراز مكانته العلمية.

٣– إيضاح سمات العصر الذي نشأ فيه قاضي زاده.

٤– بيان جهوده في الرد على أهل البدع.

٥– عرض مؤلفات قاضي زاده.

مشكلة البحث:

حاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١– من هو قاضي زاده المتوفى سنة ١٠٤٥.

٢– ما مكانته العلمية.

٣– ماهي سمات العصر الذي نشأ فيه قاضي زاده.

٤– ما جهوده في الرد على أهل البدع.

٥– ماهي مؤلفات قاضي زاده.

منهج البحث:

سيكون منهجي في البحث تحليلي استنباطي واستقرائي للنصوص.

خطة البحث

جاء البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة

الفصل الأول: التعريف بقاضي زاده

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياته الشخصية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه.

المطلب الثاني: مولده، ونشأته، ووفاته

المبحث الثاني: عصره.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية.

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

المطلب الثالث: الحالة الدينية

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه.

الفصل الثاني: جهوده في الرد على أهل البدع.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حركة قاضي زاده الإصلاحية

المبحث الثاني: مؤلفات قاضي زادة في الرد على البدع.

الخاتمة: وتشمل اهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: التعريف بقاضي زاده

المطلب الأول: اسمه، وكنيته، ولقبه

بحثت عن ترجمة المؤلف في عدّة مظانّ، من كتب التراجم، وكتب الطبقات، والكتب التي عنيت بتراجم علماء الدولة العثمانية، فوجدت أقدم من ترجم له هو: إبراهيم حسيب بن عبد الباقي بن عبد الرحيم الرومي المعروف بعُشاقي زاده (١٠٧٥هـ - ١١٣٦هـ)، وذلك في كتابه الذي جعله ذيلا على "حدائق الحقائق في تكملة الشقائق لنوعي زاده"، وذكر فيه وفيات العلماء من سنة ١٠٤٣هـ إلى تاريخ وفاته سنة ١١٣٦هـ[(١)]، حيث ذكره في أول صنف المشايخ الذين كانوا في عهد السلطان مراد الرابع (١٠٢١هـ - ١٠٤٩هـ) (مخطوط باللغة العثمانية).

وإن كان قد ذكره وأشار إليه بإيجاز قبله حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في كتابه "كشف الظنون"، وذلك عند ذكر كتابه "نصر الأصحاب"[(٢)].

ثم ترجم له مصطفى نعيم (ت١١٢٨هـ) في تاريخه المشهور المعروف باسم "تاريخ نعيما"، حيث أورده ضمن النزاعات والجدال القائم بين أرباب الطريقة المتخذين مسلك الصوفية وعلماء الظاهر. (مخطوط باللغة العثمانية)، ومطبوع باللغة التركية.

ثم ترجم له أحمد رفعت بن محمد الرومي (ت ١٣١٢هـ) في كتابه "لغات تاريخية وجغرافية" (مطبوع باللغة التركية).

ثم وجدت له ترجمة عند إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ) في كتابه "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين".

وممن ترجم له من المتأخرين: محمد طاهر بروسلي في كتابه "عثمانلي مؤلفلري" الذي ألفه باللغة العثمانية. وإسماعيل حقي أوزون شارشلي (ت١٨٨٩م) في كتابه "التاريخ العثماني" الذي ألفه باللغة التركية.

---

(١) انظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١/٣٦-٣٧) لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

(٢) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (٢/١٩٥٥)، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

ومما يُستغرب جدا: أن المحبي[١] لم يترجم له في "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، مع أنه على شرطه، وقد ترجم لبعض أقرانه من العلماء، غير أنه ذكره في موضع واحد في أثناء ترجمة فضل الله البركوي، حيث قال المحبي:

«وصار مكانَه – أي مكان فضل الله البركوي في الوعظ في جامع السلطان بايزيد بعد وفاته– الواعظُ العالم الشهيرُ بقاضي زاده الرومي صاحبُ الطريقة المشهورة في التقشّف والصلابة في الدين»[٢].

– اسمه:

هو محمد بن مصطفى طوغاني بن محمد البالكسيري الرومي.

هكذا ذكر اسمَه كاملا صاحبُ "هدية العارفين"[٣]، أما سواه ممن ترجم له فلم يذكروا اسم جدّه[٤]، وقد سمّاه صاحبُ "كشف الظنون" في موضعٍ[٥]: محمد بن محمد، أما أحمد رفعت فلم يذكر سوى اسمه ولقبه[٦].

–كنيته: بعد البحث في المصادر السابقة لم أقف على ذكر كنية له.

– لقبه:

(**قاضي زاده**) هو اللقب الذي عُرِف به المؤلف، واتفقت جميع المصادر التي ترجمت له على هذا اللقب واشتهر به في عصره أكثر من اسمه.

وهذا لقب مشهور عند العثمانيين، ومعناه (ابن القاضي)، لأن كلمة (زاده) معناها في اللغة

---

(١) | هو: محمد أمين بن فضل الله الحموي الدمشقي المتوفى سنة ١١١١هـ. انظر: الأعلام، (٤١/٦)، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشرة – أيار/مايو ٢٠٠٢.

(٢) انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢٨٦/٣)، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ)، دار صادر – بيروت.

(٣) هدية العارفين (٢٧٧/٢).

(٤) انظر: عشاقي زاده ذيل الشقائق (لوح: ٤٣)، تأليف: إبراهيم حسيب بن عبد الباقي الرومي المعروف بعشاقي، ليدن–هولندا تصويرًا عن مخطوط. وكشف الظنون (١٤٦١/٢)، وتاريخ نعيما (٢١٩/٦)، طبع إسطنبول (باللغة العثمانية). وعثمانلي مؤلفلري (٤٠٢/١)، محمد طاهر بروسه لي، المطبعة العامرة–إستانبول، ١٣٣٣هـ.

(٥) كشف الظنون (٦٦/١).

(٦) انظر: لغات تاريخية وجغرافية (باللغة التركية) (٢٤٧/٥)، مطبعة سنده–إستانبول، ١٣٠٠هـ.

العثمانية: ابن[١].

أما عن سبب تلقيبه بقاضي زاده؛ فذلك لأن أباه كان قاضيًا.

وقد أشار إلى أن والده كان قاضيًا كلٌّ من **مصطفى نعيم**[٢] حيث قال: "ووالده القاضي مصطفى أفندي.."[٣].

ومحمد طاهر بروسلي حين قال: "عالم جليل وهو ابن القاضي الذي عرف باسم الباليكسيري مصطفى طوغاني زاده أفندي.."[٤].

وكذا ورد سبب تلقيبه بقاضي زاده في **دائرة المعارف الإسلامية** حيث ورد فيها: "ونظرًا لكون والده كان قاضيًا فقد لقب بقاضي زاده"[٥].

المطلب الثاني: مولده، ونشأته، ووفاته.

– مولده:

ولد قاضي زاده في عام (٩٩٠هـ/١٥٨٢م)

ولم تذكر المصادر السابقة[٦] تاريخ ولادته باستثناء (تاريخ نعيما)[٧] وإسماعيل حقي[٨] في كتابه

(١) انظر: كنز لغات (ص ١٨٣) لفارس أفندي الخوري، مطبعة المعارف–بيروت، ١٨٧٦م.

(٢) هو: مصطفى نعيما بن محمد، الحلبي ثم الرومي، الحنفي، أديب مؤرخ، قدم القسطنطينية وصار مأمورا لوقائع الدولة العثمانية وأمين دفتر الخاقانية، توفي سنة ١١٢٨هـ، له تاريخه المشهور المعروف به، من سنة ١٠٠٠هـ حتى ١٠٧٠هـ، واسمه: "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين". انظر: هدية العارفين (٢/٤٤٤).

(٣) انظر: تاريخ نعيما (٦/٢١٩).

(٤) انظر: عثمانلي مؤلفري (١/٤٠٢).

(٥) انظر: حركة قاضي زاده: الاسم الذي أطلق على فئة الوعاظ التي ابتدأت بحركة دينية واجتماعية/ سميرآميس جاوش أغلو.– دائرة المعارف الإسلامية. ٢٤/١٠٠–١٠٢.

(٦) انظر: ص٣ من هذا البحث.

(٧) (٦/٢١٩).

(٨) هو إسماعيل حقي أوزون شارشلي من المهتمين بدراسة التاريخ العثماني حاصل على مرتبة أستاذ كرسي في التاريخ العثماني، وهو صاحب كتاب (أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني)، وله عدد كبير من الكتب والمقالات التي نشرت حول تاريخ وتنظيمات الإمبراطورية العثمانية.

انظر ترجمته: في مقدمة كتابه «أشراف مكة المكرمة»، ترجمة: د. خليل علي مراد، منشورات الجمعية التاريخية التركية ٢٠٠٣.

(التاريخ العثماني)[١].

لكنها -أي المصادر- أجمعت على ذكر مكان ولادته وهو: **بالكسير**، أو: **بالق أسير**، وهي إحدى محافظات تركيا[٢]، تسمى حاليا: BALIKESIR، تقع في الغرب منها،

وتبعد عن بورصة حوالي ١٢٥ كلم، تقع على دائرة العرض (٣٩,٣٩) وخط الطول (٢٧,٥٣) على الشريط الساحلي (بحر مرمرة وبحر إيجة)[٣].

---

(١) Ankara ، TTK Basımevi، III/I، Osmanlı Tarihi،ismail Hakkı Uzunçarşılı s. 355.،2003

التاريخ العثماني (ص ٣٥٥)، إسماعيل حقي أوزون شارشيلي، دار تي تي كا، أنقرة ٢٠٠٣ (باللغة التركية).

(٢) وقد وجدت من خلال البحث في بعض الأدلة والفهارس مؤلفين ينسبون إلى هذه المحافظة، منهم:

١- علي صباح الدين الباليكسري الرومي الحنفي، المفتي ببلده (يعني: باليكسير)، توفي سنة ١٢٨٥هـ، صنّف: "كاشفة في اللغة". انظر: هدية العارفين (٧٧٦/١).

٢- محمد بن مصلح الدين مصطفى بن الحاج حسن، الباليكسري الرومي، قاضي عسكر، المشهور بجامي، توفي سنة ٩١١هـ، له من الكتب: "تعليقة على مقدمات التلويح للتفتازاني في الأصول"، "حاشية على تفسير سورة الأنعام من أنوار التنزيل"، "رسالة في الطاعون". انظر: هدية العارفين (٢٢٥/٢).

٣- محمد بن أحمد، الباليكسري المولوي، نزيل القسطنطينية، توفي بعد سنة ١٠٢٦هـ، له من المؤلفات: "شرح التصوّرات" في المنطق، "خزينة الأبرار في شرح المثنوي". انظر: المصدر السابق (٢٧٠/٢).

٤- أحمد راسخ بيك، الرومي الباليكسري، شاعر كاتب، توفي سنة ١١١٨هـ، من مؤلفاته: "بلغة الأحباب" في الأخلاق باللغة التركية. انظر: عثماني مؤلفري (١٨٨/٢)

٥- عبد الله صلاحي بن عبد العزيز، الباليكسري الرومي ثم الإستانبولي، عُرف بعُشاقي وبالصلاحي، توفي سنة ١١٩٦هـ، له مؤلفات عديدة بالعربية والتركية منها: "تخميس قصيدة بانت سعاد"، "تفسير آية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾". انظر: عثماني ملفري (١٠٤/١)، ومعجم التراث الإسلامي في مكتبات العالم (١٣٩٨/١٣٩٥/٢)، إعداد: علي الرضا قرة بلوط، وأحمد طوران قرة بلوط، دار العقبة/ قيصري.

(٣) انظر: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية (ص ١٤٣)، تأليف: س. موستراس، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم-بيروت، ط الأولى ٤٣٣هـ-٢٠٠٢م.، قاموس الأعلام – باللغة التركية – (١٢١٩/٢) لسامي باي، مطبعة مهران-إستانبول، ١٣٠٦هـ]، وبلدان الخلافة الشرقية (ص ١٨٩)، تأليف: كي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

وهذه المحافظة ذكرها ابن بطوطة[١] في "رحلته" فقال:

«... إلى أن وصلنا إلى مدينة بَلِي كَسْرِي، وضبط اسمها بباء موحدة مفتوحة ولام مكسور وياء مدّ وكاف مفتوح وسين مهمل مسكّن وراء مكسور وياء، مدينة حسنة، كثيرة العمارة مليحة الأسواق، ولا جامع لها يجمّع فيه، وأرادوا بناء جامع خارجها متّصل بها فبنوا حيطانه ولم يجعلوا له سقفا، وصاروا يصلّون به ويجمّعون تحت ظلال الأشجار، ونزلنا من هذه المدينة بزاوية الفتى أخي سنان وهو من أفاضلهم، وأتى إلينا قاضيها وخطيبها الفقيه موسى...»، ثم ذكر سلطانها ووصفه[٢].

وذكر ابن فضل الله العمري[٣] أن بالي كسري كانت مملكة[٤].

– نشأته:

سبق أن ذكرت أن والد قاضي زاده كان قاضيًا[٥]، فشأنه إذَنْ أن يكون تربي في بيت علم، ويكون أبوه هو الذي وجهه إلى طلب العلم وملازمة أهله.

قال عُشاقي زاده فيما ترجمته: «وحاله في عهد شبابه فقد اقترن ببعض العلماء في بلده من أتباع محمد أفندي البيركوي»[٦].

وقال نعيما: «وقد تلقى تعليمه الابتدائي من تلاميذ بيركوي محمد أفندي»[٧]

---

(١) | هو: محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، رحالة مؤرخ، خرج من بلده طنجة سنة ٧٢٥هـ في رحلة طاف فيها بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس وغيرها، استغرقت ٢٧ سنة، وتوفي سنة ٧٧٩هـ، ألف رحلته المشهورة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣/٤٨٠-٤٨١) لابن حجر العسقلاني، دار الجيل-بيروت. والأعلام (٦/٢٣٥-٢٣٦).

(٢) انظر: رحلة ابن بطوطة (٢/١٩٥)، أكاديمية المملكة المغربية-الرباط، ١٤١٧هـ.

(٣) | هو: أحمد بن يحي بن فضل الله، القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، مؤرخ جغرافي، مولده ونشأته ووفاته بدمشق، توفي سنة ٧٤٩هـ، من أشهر مؤلفاته: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. انظر: الدرر الكامنة (١/٣٣١-٣٣٣)، والأعلام (١/٢٦٨).

(٤) انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٣/٢٣٣) لابن فضل الله العمري، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط الأولى ٢٠١٠م.

(٥) انظر: ص٣من هذا البحث.

(٦) انظر: عشاقي ذيل شقائق (لوح: ٤٣).

(٧) انظر: تاريخ نعيما (٦/٢١٩).

ونص على ذلك أيضًا كلّ من محمد طاهر[١]، وإسماعيل حقي[٢].

فهذا النص يفيد أنه نشأ في بلده باليكسير، وتتلمذ في بداية الأمر على تلاميذ محمد البركوي، وهو العالم التركي المشهور صاحب المؤلفات الكثيرة: محمد بن بير علي بن إسكندر البركوي المتوفى سنة ٩٨١هـ[٣].

وهذا النص وإن لم تُذكر فيه أسماء أولئك التلاميذ، لكن يمكن ذكر اسم بعض من اشتهر منهم في ذلك العصر، فمنهم:

- فضل الله بن محمد الرومي البركوي، صاحب كتاب "الطريقة المحمدية"، أخذ العلم عن والده محمد البركوي، ثم انتقل إلى القسطنطينية (إسطنبول) فوعظ بها في جامع السلطان سليم وغيره، وتوفي سنة ١٠٣٠هـ[٤].- مصطفى بن خير الدين الرومي، الملقب بمصلح الدين، فقه حنفي، من مؤلفاته: "تنوير الأذهان والضمائر في شرح الأشباه والنظائر"، توفي سنة ١٠٢٥هـ[٥].- يوسف سنان الدين الأماسي، المعروف بشيخ الحرم، واعظ حنفي، سكن مكة، توفي في حدود سنة ١٠٠١هـ، من مؤلفاته: "تبيين المحارم"[٦].

وذكرت المصادر أن قاضي زاده بعد أن أكمل تعليمة الابتدائي في بلده بالكسير قدم إلى إسطنبول وأكمل فيها تحصيله العلمي، وبعد فترة انتسب إلى عمر أفندي[٧] شيخ تكية ترجمان المنسوب إلى الطريقة الخلوتية[٨].

إلا أنه ترك هذا الانتساب بسبب أن التصوف لم يرق لمزاجه وأفكاره، ولم يوافق طباعة التي نشأ

---

(١) انظر: عثمانلي مؤلفلري (١/١٠٤).

(٢) انظر: التاريخ العثماني (ص ٣٥٥).

(٣) انظر ترجمته في: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (٤٣٦-٤٣٧) لمحق علي لالي بالي بن محمد، بذيل الشقائق النعمانية، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/٢٨٦).

(٥) المصدر السابق (٤/٢٠١).

(٦) المصدر السابق (٤/٣٠٠).

(٧) لم أقف على ترجمته.

(٨) #الخلوتية: طريقة صوفية ضالة، تأسست على يد إبراهيم زاهد كيلاني (ت ١٣٠٥هـ)، ودخلت الأناضول وانتشرت على يدي آخي يوسف الخلوتي (ت ١٤٠٨م). التاريخ العثماني (٢/١٨٤-١٨٥)، وموسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية (٨/٤٤٠).

عليها [١].

ثم واصل قاضي زاده محمد أفندي حياته بعد ذلك واعظًا ومدرسًا في الجوامع المهمة في البركوي المتوفى سنة ٩٨١هـ[٢].

وفاته:

وقع اختلاف بين مترجمي قاضي زاده في تحديد سنة وفاته، فاتفق كل من حاجي خليفة وعشاقي زاده ومحمد طاهر بروسلي على تحديدها بسنة ١٠٤٥هـ، بينما ذهب أحمد رفعت وإسماعيل باشا إلى أنها سنة ١٠٤٤هـ.

والصواب–والله أعلم– أنها سنة ١٠٤٥هـ؛ لكثرة من قال بها، ولأنها مثبتة في مصادر أوثق.

وذكر نعيما في "تاريخه" أنه توفي عن عمر يناهز الخمسين [٣].

أما مكان وفاته فهو **إسطنبول**[٤]، وذلك حين خرج بمرافقة السلطان مراد الرابع في رحلته إلى (رفان) إلا أنه مرض في (قونية)[٥] وعاد إلى إسطنبول [٦].

وذكر عشاقي أن قاضي زاده كان سافر خلال هذا العام (١٠٤٥هـ) إلى مدينة قونية، ثم لما ساءت صحته عاد إلى إسطنبول وتوفي بها [٧]

أما مكان دفنه: فذُكر أنه دفن في مقبرة الشيوخ في (طوبى كابي [٨])[٩].

---

(١) انظر: عشاقي زاده ذيل الشقائق (لوح٤٣)، تاريخ نعيما (٢١٩/٦)، وعثمانلي مؤلفلري (١٠٤/١)، ودائرة المعارف الإسلامية (١٠٠/٢٤).

(٢) انظر ترجمته في: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم (٤٣٦–٤٣٧) لمحق علي لالي بالي بن محمد، بذيل الشقائق النعمانية، دار الكتاب العربي–بيروت، ١٣٩٥هـ–١٩٧٥م.

(٣) انظر: تاريخ نعيما (٢١٩/٦).

(٤) *إسطنبول أكبر مدن تركيا تقع على مضيق البسفور، والمعروفة تاريخيًا باسم بيزنطة والقسطنطينية والأستانة وإسلامبول. انظر: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية (ص ١٤٣).

(٥) *قونية: مدينة تقع جنوب غرب تركيا. انظر: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية (ص ١٤٠)، وبلدان الخلافة الشرقية، (ص ١٩٩)، تأليف: كي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.

(٦) التاريخ العثماني، لإسماعيل حقي أوزون شارشيلي (ص ٣٥٥)، (باللغة التركية).

(٧) انظر: عشاقي ذيل شقائق (لوح٤٤).

(٨) *طوب كابي أو توبكابي سراي بالتركية، وتعني الباب العالي، تقع في إسطنبول في تركيا. المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية (ص ١٣٠)، وبلدان الخلافة الشرقية، كي لسترنج (ص ١٩١).

(٩) انظر: – عشاقي ذيل شقائق (لوح٤٤)، وعثمانلي مؤلفلري، (٤٠٢/١).

المبحث الثاني: عصره

المطلب الأول: الحالة السياسية والاجتماعية

عاش قاضي زاده في عصرٍ حَكَمَ فيه خمسةٌ من ملوك الدولة العثمانية:

فقد وُلد – كما سبق – عام (٩٩١هـ/..) أي في عصر السلطان العثماني مراد خان الثالث الذي تسلَّم خلافة الدولة العثمانية سنة (٩٨١هـ/١٥٧٤م)، واستمرت خلافته لغاية (١٠٠٣هـ/١٥٩٥م).

واخرهم **مرادًا الرابع ابن السلطان أحمد الأول** [١]، وذلك في عام (١٠٣٣هـ/١٦٢٣م) وكان عمره أربعة عشر عاما، –وهي الفترة التي بدأ فيها قاضي زاده بإلقاء الدروس والتأليف – ويمكننا تقسيم فترة حكم مراد الرابع إلى دورين:

الدور الأول: ويشمل الفترة الزمنية من (١٠٣٣-١٠٤٢هـ/١٦٢٣-١٦٣٢م)، وقد اتّسمت بالفوضى نتيجةً لفراغ السلطة، وذلك لأن كلًّا من الوزراء ونساء القصر والإنكشارية استغلوا صغر سن السلطان وتنازعوا السلطة، ويضاف إلى ذلك عصيان أباظة محمد باشا [٢] (ت١٦٨٨م) للمطالبة بدم السلطان عثمان الثاني.

أما على الصعيد الخارجي فقد تقدّم الشاه عباس واستولى على بغداد، **وانهزمت الجيوش العثمانية أمام الصفويين** عام (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م).

أما **الدور الثاني** من حكمه، ويمتدّ من عام (١٠٤٢-١٠٥٠هـ/١٦٣٢-١٦٤٠م)، فهي الفترة التي سيطر السلطان مراد الرابع فيها على الحكم، وقضى على عناصر الفوضى والفساد، وأعاد للدولة حكمها المركزي، وهيبتَها في الخارج أمام أعدائها [٣].

المطلب الثاني: الحالة العلمية.

لم تؤثّر الصراعات الداخليّة والخارجيّة في الحركة التعليمية داخل الدولة العثمانية، فقد بقيت الجوامع والمدارس التي فتحها السلطان محمد الثاني (٨٥٥-٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م) الذي عُرف بحبه للعلم والعلماء وتشجيعه له ولهم، حيث ابتدأ هو ببناء مدرسة ألحقها بجامع (أيا صوفيا)، وأتبعها بست عشرة

(١) انظر: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية (ص ١٢٣-١٢٥)، وتاريخ الدولة العلية العثمانية (ص ٢٧٩).

(٢) | هو أباظة محمد باشا: من رجال الدولة العثمانية من أصل إباظي، كان الصدر الأعظم للدولة العثمانية، وقبل ذلك كان وزيرا للحربية (ت١٠٩٩هـ-١٦٨٨م).

(٣) حركة الفتح العثماني في القرن (١١هـ/١٧م) (ص ١٣٢-١٣٣).

مدرسة حول جامعه الكبير (جامع الفاتح)-الذي عيّن قاضي زاده مدرسًا في أحدها فيما بعد-، وقد بناها على مرحلتين: أربعا أولى شمالي الجامع، وأربعا أخرى وعُرفت بـ"مدارس الصحن"، وسُمّي الصحن "صحن الثمانية"، ثم بنى ثماني مدارس أخرى متجمّعة على النمط نفسه سمّيت بـ"المدارس الموصلة للصحن" أو "تتمّة" وخُصّصت للدراسات التمهيديّة، أي لتكون مدخلا لـ"مدارس الصحن"، وكان الطلاّب في هذه المدارس يدرسون عشرة علوم هي: القواعد، النحو، المنطق، علوم الدين، فقه اللغة، علم البيان، علم المعاني، الإنشاء، الهندسة والفلك؛ وكل من أتقن هذه المواد العشر كان يتلقّى لقب "دانشمند" أي: الحاصل على المعرفة(١)، ويحقّ له أن يعلّم الطلبة، وحتى يصبح الدانشمند عضوا في فئة العلماء كان عليه أن يقوم بدراسة معمّقة للشريعة والفقه الإسلاميَّيْن، وأن يجتاز عدّة فحوص ليحصل على درجات أرقى فأرقى، ويرشَّح لمناصب القضاء(٢).

وكذلك بنى ابنُه السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ/١٤٨١-١٥١٢م) عدّة مدارس، وخُصِّصت مبدئيًّا لدراسة الفقه.

ونهجَ السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) النهج نفسه، فبنى "جامع السليمانية" وألحق به مجموعة من المدارس.

وفي مجموعة مدارس "محمد الفاتح" و"بايزيد خان" و"السليمانية" كان العلماء الأتراك الرئيسون يتعلمون، ومنه يتخرجون علماء مدرِّسين(٣)، أو علماء قضاة ومفتين، وأحيانًا كُتّابًا متفقِّهين في دوائر الدولة.

وقد خُصِّصت في هذه المدارس قاعات لتدريس الطلبة، وغرفٌ لإقامتهم، وأخرى للقائمين على شؤونها، وقد خُصِّصت مدرسة من مدارس السليمانية بالذات لتدريس الطب، وثانية لتدريس الحديث الشريف. وبعد تشييد السلطان سليمان مدارسه، أوجدَ نظامَه التعليمي الذي سارت عليه الحكومة العثمانية في تخريج المدرِّسين، ومختلف العاملين في "المؤسسة العلمية"، من قضاة، ومفتين، وكبار الكتبة، والأطباء، وغيرهم، حتى مرحلة الإصلاحات أو ما يسمى بـ"التنظيمات الخيرية" في منتصف القرن التاسع عشر، عندما غيّرت نظامها التعليمي كلّه، وأدخلت فيه أنماطًا من التعليم الأوروبي(٤).

فهذه المدارس ودور العلم أسهمت إسهاما كبيرا في نشر التعليم في أوساط رعايا الدولة العثمانية،

---

(١) انظر: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية (ص ١٠٩).

(٢) انظر: الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة (٣١١/٢) مجموعة من المؤلفين، تعريب: صالح سعداوي، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلو، منظمة المؤتمر الإسلامي-إستانبول، ١٩٩٩م.

(٣) ذكرت المصادر أن جميع هذه المدارس كان المؤلف قاضي زاده يلقي فيها دروسًا في عصره.

(٤) الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة (٣١٢/٢).

وذلك بسبب خضوعها لأنظمة خاصة سعت الدولة إلى تطويرها من حين إلى آخر[١].

وقد عاصر المؤلف قاضي زاده ثلّة من كبار العلماء، كان لهم الأثر البالغ في انتشار العلوم والازدهار المعرفي في عصره، نذكر منهم:

-القاضي الفقيه عطاء الله محمد بن يحيى المعروف بنوعي زاده (ت١٠٤٤هـ)[٢].

-المفسّر الفقيه عبد المجيد بن محرم السيواسي (ت ١٠٤٩هـ)[٣].

-القاضي الفقيه محمد بن موسى البوسنوي الحنفي الشهير بغلامك (ت ١٠٤٥هـ)[٤].

-القاضي أحمد بن زين الدين النخجواني المعروف بمنطقي زاده (ت١٠٤٥هـ)[٥].

-القاضي الفقيه محمد بن أحمد البوسنوي المشهور بتركسي زاده (ت١٠٤٤هـ)[٦].

المطلب الثالث: الحالة الدينية.

إن الغالب على الحياة الدينية إبّان الدولة العثمانية هو شيوع التصوف بكل أشكاله وكل طوائفه، فقد انتشرت طوائف الصوفية وتنوّعت، مثل[٧]:

المَوْلَوِيّة[٨].

والكازَرُونيّة[٩].

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٥٣١/٢ فما بعدها).

(٢) انظر ترجمته في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٢٦٣/٤-٢٦٤) للمحبي، دار صادر-بيروت.

(٣) انظر ترجمته في: هدية العارفين (٦٢٠/١)، وعثمانلي مؤلفلري (١٢٠/١).

(٤) انظر ترجمته في: هدية العارفين (٢٧٨/٢)، والأعلام (١١٩/٧).

(٥) انظر ترجمته في: هدية العارفين (١٥٩/١).

(٦) انظر ترجمته في: هدية العارفين (٢٧٧/٦).

(٧) انظر: الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة (١٧٩/٢-١٨٧).

(٨) #المولوية وتسمى الجلالية: طريقة صوفية ضالة، ظهرت بعد وفاة جلال الدين الرومي (٦٧٢هـ)، وتبناها أولو عارف جلبي (ت ٧٢٠هـ)، وكان لها انتشار واسع في منطقة الأناضول طولا وعرضا. انظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية (٤٣٨/٨).

(٩) #الكازرونية: طريقة صوفية ضالة، ذات صبغة حربية، قامت في إيران على يدي الشيخ أبي إسحاق الكازروني (ت ١٠٣٤م). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢٨٢/٢).

والخَلْوَتيّة[١].

والنقشبنديّة[٢].

والبيراميّة[٣].

والقَلَنْدَريّة[٤].

وكان لهذه الفرق انتشار كبير وواسع وسط المجتمع إبان الدولة العثمانية، ولأتباعها انحراف وضلال معروف في التعبّد قد يصل إلى الشرك بالله، ومن أظهر أمثلته تقديس القبور واتخاذها مساجد وأماكن عبادة، والحرص دائما على زيارتها والتوسّل بأصحابها، وشدّ الرحال إليها.

وذكرت بعض المصادر أن **قاضي زاده** كان في أول أمره ينتسب إلى الطريقة الخلوتية، وذلك من خلال التحاقه بتكيّة الترجمان التي كان شيخها عمر أفندي، لكن سرعان ما ترك طريق التصوّف حينما علم أنه لا يوافق طباعه، ويخالف منهجه، وتحول بعدها إلى معاداة للطريقة ومحاربة أهلها[٥].

ولذلك عرف العصر الذي عاش فيه **قاضي زاده** حروبًا طاحنةً بينه هو وأنصاره وبين الفرق الصوفية والمبتدعة، وكانت لقاضي زاده جهود مذكورة في محاربتهم والتحذير منهم ومن باطلهم، وذلك عن طريق خطب التحريض الرنّانة التي كان يلقيها في جوامع إسطنبول، واتهم أصحاب تلك الطرق بالضلال، حتى إنه عارض تلاوةَ القرآن في المآتم وإنشادَ المولد النبوي والأذكار الجماعية والتي تكون أحيانا مصحوبة بآلات أو طبول، بل كان هو ورفقاؤه يتدخّلون أحيانًا في إنكار تلك البدع بالفعل[٦].

---

(١) #الخلوتية: طريقة صوفية تنسب إلى محمد احمد الخلوتي. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/١٨٨).

(٢) #النقشبندية: طريقة صوفية تنسب للشيخ بهاء الدين نقشبند البخاري (ت ١٣٨٩م)، ولها انتشار واسع في الأناضول. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٢٦٧).

(٣) #البيرامية: طريقة صوفية، أقامها حاجي بيرام ولي (ت ١٤٢٩م) عند مشارف أنقرة، وكانت منتشرة في صفوف الفلاحين وأهل الريف في وسط الأناضول، وتنتهج الفكر الصفوي في منهجها الصوفي. المصدر السابق (١/٢٨٤).

(٤) #القلندرية: طريقة صوفية ضالة ممزوجة بالثقافة البوذية والمانوية القديمة، تنسب إلى شاه قلندر. المصدر السابق (١/٢٦٧).

(٥) انظر: تاريخ نعيما (٦/٢١٩)، دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/١٠٠)، عثمانلي مؤلفلري (١/٤٠٢).

(٦) الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة (٢/٢١٢-٢١٤)، تاريخ نعيما (٦/٢١٩)، دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/١٠٠).

فلا يمكن لاحد إنكار جهود المؤلف **قاضي زاده** في محاربة الصوفية بشتى طرقها، والروافض الذين قويت في عصره وأصبحوا خطرًا يهدد الدولة العثمانية، وذلك بذكر شبههم ودحضها، وفضح معتقداتهم، والتنبيه على خطرهم وهو سبب تأليفه كتاب (نصر الأصحاب والأحباب)

وكثيرا ما كان **قاضي زاده** يصرح بعبارات توحي بتبرّؤه ممّا يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة وما يخالف القرآن والسنة النبوية.

وكذا تعظيمه للصحابة رضوان الله عليهم، وذكره لفضائلهم، ونهيه عن الخوض في الخلاف الذي وقع بينهم، وتعظيمه لأمّهات المؤمنين.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

شيوخه:

لم تسعفنا الكتب التي ترجمت لقاضي زاده بأسماء شيوخه بالتفصيل، لكن يمكن أن يُذكروا بالإجمال، وهم طبقة تلاميذ الشيخ محمد البركوي (ت ٩٨١هـ).

ومنهم كما ذكرت سابقًا ابن الشيخ محمد البركوي فضل الله أفندي البركوي (ت:١٠٣٠هـ) صاحب كتاب "الطريقة المحمدية"، أخذ العلم عن والده محمد البركوي، ثم انتقل إلى القسطنطينية (إسطنبول) فوعظ بها في جامع السلطان سليم وغيره، وتوفي سنة ١٠٣٠هـ.

وأكد ذلك محمد زاهد الكوثري في مقالاته حيث قال: "إن قاضي زاده كان تلميذًا لفضل الله البركوي"[(١)]

- مصطفى بن خير الدين الرومي، الملقب بمصلح الدين، فقه حنفي، من مؤلفاته: "تنوير الأذهان والضمائر في شرح الأشباه والنظائر"، توفي سنة ١٠٢٥هـ.

- يوسف سنان الدين الأماسي، المعروف بشيخ الحرم، واعظ حنفي، سكن مكة، توفي في حدود سنة ١٠٠٠هـ

وكان أول شيخ له ذكرته المصادر بعد تلاميذ بركوي هو: طورسون زاده أفندي(ت:١٠١٩هـ) فكان يأخذ عنه الدروس ثم يعيدها على التلاميذ [(٢)].

والآخر الذي ذكرته المصادر هو: عمر أفندي المعروف بترجمان، فقد أخذ عنه قاضي زاده الطريقة

(١) انظر: مقالات الكوثري (ص ٤١٥) لمحمد زاهد الكوثري.

(٢) ذيل عشاقي زاده (ص٤٤)، وتاريخ نعيما (٦/٢١٩).

الخلوتية في أول أمره قبل أن يتركها بعد ذلك.

وذكر المحبي حكاية تفيد أن قاضي زاده جالس **محمد الأمين بن صدر الدين الشرواني**[١]، وكان يأخذ عنه الفتاوى، جاء فيها:

«ولما قدم إلى قسطنطينية قاضي زاده البالكسيري الرومي حضر إلى مجلسه، فقيل له: إن قاضي زاده يريد الدخول عليك، فنهض قليلا ثم جلس، فقال له قاضي زاده: عندي ثلاثون سؤالا في أنواع من العلوم أريد جوابها منك، قال: وكان مضطجعا على الوسادة فقال له: والله لا رفعت جنبي عن الوسادة حتى أجيبك عنها، هات ما عندك، فشرع قاضي زاده يورد له السؤال، فقبل أن يتمه يجيبه عنه من غير انفعال ولا ترو، وكل ما يجيبه يكتبه عنه»[٢].

تلاميذه:

كذلك لم تذكر المصادر أسماء تلاميذه بالتفصيل، لكن يمكن أن يُذْكَروا في ضمن الطلاب الذين درسوا في المدارس والجوامع التي تولى التدريس والتعليم والوعظ بها، ومنها [٣]:

مدرسة طورسون زاده.

جامع السلطان سليم، حيث تولى الوعظ فيه بدلًا عن فضل الله أفندي البركوي[٤].

جامع السلطان بايزيد، حيث تولى الوعظ فيه سنة ١٠٣٢هـ.

مدرسة السليمانية، حيث تولى التدريس والوعظ بها سنة ١٠٤١هـ بدلًا من إمام جامع شيخ زاده مصطفى أفندي[٥].

جامع ومدرسة آيا صوفيا، تولى التدريسَ به في آخر حياته.

---

(١) | محمد الأمين بن صدر الدين الشرواني عالم مفسر، له حواش في التفسير، توفي سنة ١٠٣٦هـ. ترجمته في خلاصة الأثر (٣/٤٧٥-٤٧٦)، والأعلام (٦/٤١).

(٢) انظر: خلاصة الأثر (٣/٤٧٦) باختصار.

(٣) ذيل عشاقي زاده (ل ٤٤).

(٤) | هو: فضل الله بن محمد الرومي البركلي، صاحب كتاب "الطريقة المحمدية"، أخذ العلم عن والده محمد البركلي، ثم انتقل إلى القسطنطينية (إسطنبول) فوعظ بها في جامع السلطان سليم وغيره، وتوفي سنة ١٠٣٠هـ. انظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/٢٨٦).

(٥) | هو: مصطفى بن محمد الشهير بعزمي زاده، كان قاضي العسكر، من كبار علماء الروم، له مصنفات عديدة، ودرس في عدة مدارس عثمانية، توفي في حدود سنة ١٠٤٠هـ. انظر: خلاصة الأثر (٤/٣٩٠-٣٩٢).

وقد ذكرتْ دائرة المعارف بعض أتباعه ممن تولوا مناصب بالدولة بعد وفاته ومنهم:

١-**محمد أفندي أسطواني**

٢-**محمد الواني أفندي** [١]

وبعد البحث والتتبّع وجدت أيضًا أنّ ممّن تتلمذ على قاضي زاده: العالم التركي المؤرخ المعروف **مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المعروف بحاجي خليفة (١٠٠٤هـ-١٠٦٧هـ)**، صاحب "كشف الظنون" وغيره من المؤلّفات، جاء في كتاب "مقالات الكوثري" في ترجمته لحاجي خليفة:

«وبعد أن عاد من محاصرة أرزن الروم (أرض روم) إلى الآستانة سنة ١٠٣٨هـ قصد جامع السلطان محمد خان الفاتح بإسطنبول يوما، فرأى الشيخ محمد بن مصطفى الباليكسري المعروف بقاضي زاده يلقي الدرس فيه، وكان عالما طلق اللسان عظيم التأثير في نفوس سامعيه، فاجتذبه سحرُ بيانه إلى طلب العلم، فقرأ عليه علم التفسير، وشرح الشريف الجرجاني على المواقف، وإحياء علوم الدين للغزالي، والدرر شرح الغرر لملا خسرو في الفقه، والطريقة المحمدية للتقي محمد البركوي»[٢].

وكذا ذكر كاتب جلبي في كتابه (ميزان الحق في معرفة الحق) (باللغة التركية) ماترجمته: أنه حضر بعض المواعظ والدروس لقاضي زاده في جامع الفاتح[٣].

وقال في موضع آخر: "التحقت بدروس التفسير الخاصة بقاضي زاده"[٤].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١٠١/٢٤).

(٢) مقالات الكوثري (ص ٤٧٦).

(٣) ميزان الحق (ص١١٠).

(٤) انظر: المصدر السابق (ص١١١).

الفصل الثاني: جهود قاضي زاده في الرد على البدع

المبحث الأول: حركة قاضي زاده الإصلاحية:

لشدة محاربة **قاضي زاده** لهذه الطوائف المبتدعة اشتهر أمره بين الناس، وذاع صيته، حتى عُدّت دعوته حركة تجديد في الدين مثل حركات من سبقه ولحقه من العلماء المشهورين بالدعوة ومحاربة أهل البدع كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله وغيرهما.

جاء في "دائرة المعارف الإسلامية":

«ظهرت حركة قاضي زاده في عهود: مراد الرابع والسلطان إبراهيم ومحمد الرابع. وقد أخذت اسمها من محمد أفندي قاضي زاده (ت ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م)، من وُعّاظ عهد مراد الرابع.

وكانت المناقشات الفكرية التي بدأت بين محمد أفندي وعبد المجيد السيواسي— من شيوخ الطريقة الخلوتية— قد مهدت لتطورات بحيث تؤثر في مؤسسات الدولة العثمانية الأساسية إلى جانب التأثير الاجتماعي والسياسي للمجتمع.

عدّ قاضي زاده محمد أفندي وأتباعه بعض العادات والإجراءات التي ظهرت بعد حياة النبي □ بدعة، وردّها بشدة. ولذلك فإن الهدف من حركة قاضي زاده هو تنقيح ما تعلق بالدين من عناصر خارج الكتاب والسنة مما عُدَّ من البدع، ونشر هذا الفهم في مستويات الدولة كافة. وبما أن مثل هذه الحركات تظهر في العادة في الظروف الاجتماعية والسياسية المتأزمة في التاريخ، فإن حركة قاضي زاده أيضًا قد ظهرت في خضم الفوضى العارمة التي كانت تجتاح الدولة العثمانية في نهاية القرن السادس عشر الميلادي، والضعف الإداري المركزي للدولة، مع الأزمات الاقتصادية التي كانت في ازدياد، والحروب المستمرة مع أوربا وإيران والتي فقدت الدولة بسببها بعض الأراضي، إضافة إلى زيادة عدد السكان التي صحبتها أعمال التمرد والعصيان، وأدت كل تلك العناصر بجملتها إلى تشكل جو غير مستقر، ومن ثَمّ إلى نشأة هذه الحركة التي وجدت فيها نشوءها وتطورها، والشخصية الفكرية التي انطلقت منها هذه الحركة هو محمد بيركوي (ت ٩٨١هـ/١٥٧٣م) المتأثر بابن تيمية.

وتشكل الموضوعات التي جرى فيها النقاش بين قاضي محمد أفندي وعبد المجيد السيواسي المحور الأساس لحركة قاضي زاده. ويمكن تلخيص هذه الموضوعات في ثلاثة:

١ – المسائل المتعلقة بالفكر الصوفي وإجراءاته، كون جواز السماع والدوران في التصوف، مسائل الذكر والموسيقى.

٢ – المسائل المتعلقة بالاعتقادات الدينية والعبادات.

٣-المسائل المتعلقة بالمجتمع والسياسة[١].

وذكر نعيما في "تاريخه"[٢] الموضوعات والمسائل التي وقع الخلاف فيها والتضادّ بين قاضي زاده وعبد المجيد السيواسي، وهي:

أولا: موضوع منع التعمّق في العلوم الرياضيّة والعقليّة التي تبحث في حقائق الأشياء.

ثانيا: حياة الخضر عليه السلام.

ثالثا: حكم النغمات والتغنّي بأصوات لطيفة.

رابعا: رقص ودوران أصحاب الطريقة.

خامسا: التصلية والترضية.

سادسا: حل وحرمة الدخان والقهوة وسائر المحدثات.

سابعا: موضوع والدَيْ الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثامنا: موضوع إيمان فرعون.

تاسعا: الاختلافات في شأن محيي الدين بن عربي.

عاشرا: موضوع لعن يزيد.

حادي عشر: البدع.

ثاني عشر: التبرك وزيارة القبور والأضرحة.

ثالث عشر: إقامة الجماعات في صلوات النوافل وليلة البراءة والرغائب وليلة القدر.

رابع عشر: تقبيل أيادي وأرجل وأطراف أثواب الكبراء والانحناء عند السلام.

خامس عشر: موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادس عشر: موضوع الرشوة.

وقد عدّ قاضي زاده محمد أفندي السماع والدوران، وقراءة الأذان والقرآن الكريم بالمقامات، والموالد

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (٢٤/١٠٠).

(٢) انظر: تاريخ نعيما (٦/٢١٩-٢٢٠).

النبوية، وزيارة القبور والأضرحة لطلب البركة، وإقامة الجماعة في صلوات النوافل، والتدخين، كما اتخذ موقف سلبيًّا من تقبيل اليد والثوب والانحناء أثناء السلام، والمصافحة والانحناء بعد الانتهاء من الصلاة، وعد كل ذلك حرامًا وبدعة.

كما نفى أن يكون الخضر – عليه السلام – على قيد الحياة، وعدم قبول إيمان فرعون، أما عبد المجيد السيواسي فقد بين موقفًا معارضًا له في كل تلك المسائل(١).

وجاء في دراسة للأستاذ الدكتور غالب عنابسة(٢) نشرتها دورية (**كان التاريخية**) بعنوان: (الخلاف بين الطريقة الخلوتية وحركة قاضي زاده) حول زيارة المقامات المقدسة اعتمادًا على مخطوط من أدب الزيارات بالعربية: "... وتيار قاضي زاده الذي تبنى أفكار محمد أفندي البركوي، في الفترة العثمانية.. فيبدو أن الخلاف بين الفئتين كان حول الأماكن المقدسة مثل: مقام، أو ضريح، أو أثر لشخصية دينية وغيرها ابتغاء التبرك بها، والتوسل والقيام بالطقوس الدينية المختلفة في جانبها.

إن تيار قاضي زاده–كما يبدو لنا– قد تبنى الفكر الحنبلي في الإسلام المتمثل بفئة قليلة من أتباع ابن تيمية (ت١٣٢٨م) وتلاميذه الذين عارضو زيارة الأماكن المقدسة على اختلاف أنواعها، والتبرك والتوسل بها، لأن ذلك يتنافى مع تعاليم الإسلام السني.."(٣)

ويبدو تأثير قاضي زاده واضحًا في بعض الموضوعات في السلطان وفي رجال الدولة.

فبعد الحريق الهائل الذي نشب في جبالي بإسطنبول في صفر ١٠٤٣هـ/أغسطس ١٦٣٣م أصدر السلطان مراد الرابع أمره بتفويض قاضي زاده بهدم جميع المقاهي الموجودة في إسطنبول، وعقاب العديد من الناس ممن لم يتقيد بمنع التدخين (٤).

والجدير بالذكر أن كلًّا من قاضي زاده وعبد المجيد السيواسي كانا مقربين من السلطان مراد الرابع ويحظيان باهتمام خاص منه، ولم يكن يختار أحدهما على الآخر، وبذلك ضمن ارتباط القاضي زاديين وكذلك السيواسيين به(٥).

---

(١) حركة قاضي زاده، دائرة المعارف الإسلامية، سمير آميس جاوش أغلو (٢٤/١٠٠م١٠٢).

(٢) | غالب عنابسة: رئيس قسم اللغة العربية كلية بيت بيرل الأكاديمية، ومحاضر في أكاديمية القاسمي للتربية، مرشد لطلبة الماجستير في كلية أور انيم.

انظر: دورية كان التاريخية [العدد السادس عشر؛ يونيو٢٠١٢، ص٩٥].

(٣) انظر: دورية كان التاريخية [العدد السادس عشر؛ يونيو٢٠١٢، ص٩٥].

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ نعيما (٦/٢٢١).

وقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية أن مرادًا الرابع لم يعارض أهل التصوف ماداموا لم يتعرضوا لسياسة الدولة.

وبذلك فقد عمل على سياسة التوازن بين جماعة قاضي زاده وأهل التصوف- وهو أمر لافت للنظر- وكان للسلطان مراد الرابع علاقة مع الطرق الصوفية، كما هو شأن العديد من السلاطين قبله(١).

إضافة إلى ذلك فقد ذكر نعيما أن السلطان قد أعطى الضمانات اللازمة للسيواسي بأنه لن يتدخل أحد في شؤون الدراويش من أتباعه(٢).

ويُستنتج من كتب قاضي زاده أنه كان على الجادّة في توحيد العبادة، بل كان داعية إلى إخلاص التوحيد ونبذ الشرك بكل صوره.

فقد ذكر في كتابه "النهي عن الرقص والدوران" حرمة اتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها، ونقل في ذلك كلام ابن قيّم الجوزيّة وغيره من العلماء الراسخين(٣).

ومثل ذلك في رسالته في (الرد على طقوس المولوية والخلوتية)، ورسالته في (صلاة الرغائب) وغير ذلك.

كما أكد ذلك تقرير دائرة المعارف الذي نشرته عن حركة قاضي زاده الدينية التي ظهرت في عهد مراد الرابع، وتزعمها المؤلف بنفسه وأطلق عليها اسمه حيث جاء فيها:

"عاش قاضي زاده حروبًا طاحنة بينه وأنصاره وبين الفرق الصوفية المبتدعة، وكان لقاضي زاده جهود مذكورة في محاربهم والتحذير منهم ومن باطلهم..."(٤)

وجاء في موضع آخر:

"ولذلك فإن الهدف من حركة قاضي زاده تنقيح ما تعلق بالدين من عناصر خارج الكتاب والسنة مما عُدَّت من البدع، ونشر هذا الفهم في مستويات الدولة كافة"(٥).

وقد حارب قاضي زاده الفرق الضالة التي ظهرت في عصره من رفض وتصوف واعتزال وقدرية

---

(١) حركة قاضي زاده، دائرة المعارف الإسلامية، سمير آميس جاوش أغلو (٢٤/١٠٠-١٠٢).

(٢) تاريخ نعيما (٦/٢٢١).

(٣) الرد على رسالة جواز الرقص والدوران (ل ٧٣أ – ٧٧ب).

(٤) سميرآميس جاوش أغلو.- دائرة المعارف الإسلامية. ٢٤/١٠٠-١٠٢

(٥) المصدر السابق.

وجميع ماهو مبتدع واجتهد في بيان ضلالهم للسلطان والناس من طريقين:

الأول: الخطب الرنانة، **والثاني**: والدروس العلمية التي كان يلقيها في جوامع إسطنبول [١].

المبحث الثاني: مؤلفات قاضي زاد في الرد على أهل البدع

مؤلفاته:

بذل **قاضي زاده** كبيرة في محاربة البدع والمبتدعة والتحذير منهم حيث إنه ألف عدة مؤلفات في ذم بدعهم ودحضها وإبطالها، منها:

رسالته في (ذم الرقص والدوران)، ورسالته في (الرد على طقوس المولوية والخلوتية)، ورسالته في (صلاة الرغائب)، وغير ذلك، حتى قال أحمد رفعت في ترجمته: «وكان يرد بصورة دائمة على الطقوس المولوية والخلوتية»[٢].

ومن أهم مؤلفاته كتابه المؤلف باللغة التركية بعنوان "رسالة بيركوي" (وصيتنامه)، وقد لقي انتشارًا كبيرًا في صفوف جماعة قاضي زاده.

أما الكتاب الشهير الذي ترجمه باللغة العربية "الطريقة المحمدية" والذي جرى عليه كثير من الشروح فهو في الدين والأخلاق والموضوعات الصوفية... يوضح ذلك التأثير أيضا إعداده كتاب "تاج الرسائل ومنهاج الوصائل" الذي هو الترجمة التركية الموسعة لكتاب ابن تيمية "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية"، والتأثير الواضح لابن تيمية في بيركوي، لافت أيضًا في مؤلفات قاضي زاده محمد أفندي»[٣].

أيضا ألف عدة كتب تدل على سعة علمه وشدة بحثه، ومما وقفت على ذكره من ذلك:

١-«**إرشاد العقول السليمة إلى الأصول القويمة بإبطال البدع السقيمة**»، في إبطال الرقص والدوران[٤]. ردّ فيه على رسالة في تجويز ذلك

---

(١) عشاقي زاده، ذيل الشقائق (ل٣٠)، تاريخ نعيما (٢١٩/٩)، وعثماني ملفري (ص٣٧٣)، والتاريخ العثماني، إسماعيل حقي أوزون شارشيلي (ص٣٥٥).

(٢) انظر: لغات تاريخية وجغرافية (باللغة التركية) لأحمد رفعت (٢٤٧/٥).

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (١٠٠/٢٤).

(٤) نسبه اليه البغدادي في هدية العارفين (٢٧٧/٢) منه نسخ مخطوطة في كل من: مكتبة بايزيد العمومية برقم (٣١٢٥) تقع في ١٦٠ لوحة، ومكتبة كوبرلي برقم (٧٠٣) تقع في ١٦٠ لوحة، ومكتبة أمانة خزينة برقم (٨٥٦) تقع في ١١٠ لوحات.

ورتّبها على أربعة أبواب:

-الباب الأول: في ردّ الرسالة.

-الباب الثاني: في وجوب الاتّباع والاحتراز عن الابتداع.

-الباب الثالث: في أقوال العلماء الكبار في مذمّة المبتدعين الفجّار والرقّاصين الأشرار.

-الباب الرابع: في وجوب التقوى وتفسيرها ومجاريها، ليظهر قبح ما في الرسالة.

ومن مؤلفاته أيضًا:

٢-**دعاء نامه**، منظوم باللغة التركية[١].

٣-**رسالة في الرد على طقوس المولوية والخلوتية.**

٤-**رسالة في مسألة أبوَي النبي.**

٥-**رسالة في مسألة الترضية والتصلية.**

٦-**رسالة في مسألة حياة الخضر.**

٧- **رسالة في مسألة القدر.**

٨- **رسالة في مسألة لعن يزيد**[٢].

٩-**رسالة في الرغائب وعدم جوازها في الجماعة** (باللغة التركية)[٣].

١٠-**قطرات الغيث على مقدمة أبي الليث**، وهو شرح على مقدمة الصلاة لأبي الليث السمرقندي[٤].

١١-**منظومة في فضل القرآن** (باللغة التركية)[٥].

---

(١) منه نسخة بالمكتبة القادرية ببغداد برقم (٧/١٤٥٩).

(٢) المؤلفات من (٣) حتى (٨) ذكرها أحمد رفعت في "لغات تاريخية وجغرافية" (٢٤٧/٥).

(٣) كشف الظنون، حاجي خليفة (٨٦٨/١)، (٣٣/١٢).

(٤) منه نسخة بمكتبة شهيد علي برقم (٩٠٦) تقع في ٤٠ ورقة.

(٥) منها نسخة بالمكتبة القادرية ببغداد برقم (٨/١٤٥٩) تقع في ورقتين.

١٢-**منظومة في المناجاة وذكر شمائل النبي والعقائد**، وهي باللغة التركية[١].

١٣-**نصر الأصحاب والأحباب**.

هذا ما وقفتُ عليه من مؤلفات منسوبة إليه ، وهي ما زالت مخطوطة، ولم يُطبع منها شيء حتى الآن، وكان في العثور على بعضها مشقّة، وصعوبة الوصول اليها كان لعدة أسباب:

١- الخلط الموجود في بعض المكتبات في اسم المؤلَّف ومؤلِفه المبينّة على الملصق وبين كتب الأدلة والفهارس التي رجعتُ إليها.

٢- تأليف بعضها باللغة التركية.

٣-كثرة الأشخاص الملقبين بقاضي زاده ولديهم مخطوطات في المكتبات.

فهناك علماء آخرون ظهروا في الدولة العثمانيّة يُعرفون بقاضي زاده منهم:

-الفقيه شمس الدين أحمد بن محمود الأدرنوي (ت ٩٨٨هـ)[٢].

-أحمد بن عبد الله الرومي الحنفي (ت ١١٩٧هـ)[٣].

-محمد بن قطب الدين محمد بن محمد الحنفي (ت ٩٥٧هـ)[٤].

---

(١) منها نسخة كذلك بالمكتبة القادرية بالرقم السابق، ومكتبة بالكسير العامة في تركيا برقم (١٠/١٢٥) وتقع في ٧٤ لوحًا، وسيأتي الكلام عليها وعلى نسخها في مبحث عقيدته.

(٢) هدية العارفين (١/١٤٨).

(٣) المصدر نفسه (١/١٧٩).

(٤) المصدر نفسه (٢/٢٤٣).

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأحمد الله واشكره أن يسر لي بداية اختيار هذا الموضوع المتعلق بجهود هذا الشيخ الجليل وقد توصلت من خلاله لعدة أمور:

١-ابراز شخصية الشيخ قاضي زاده، وبيان المكانة التي احتلها في عصره.

٢-بيان الدور الذي قام به في محاربة البدع المنتشرة في عصره.

٣-ابراز موقف الشيخ قاضي زاده من الرافضة والصوفية بجميع فرقهم.

٤-بيان أهمية مؤلفات الشيخ قاضي زادة كنموذج لكتب أهل السنة التي فندت مزاعم أهل البدع ودحض شبههم بالأدلة النقلية والعقلية.

التوصيات: اوصي طلبة العلم بتحقيق مخطوطاته، ويكمن عمل دراسات مقارنة بينه وبين منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء المسلمين.

سبحانك ربي رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

-الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشرة – أيار/مايو ٢٠٠٢.

-التاريخ العثماني ، إسماعيل حقي أوزون شارشيلي، دار تي تي كا، أنقرة ٢٠٠٣ (باللغة التركية).

- «أشراف مكة المكرمة»، ترجمة: د. خليل علي مراد، منشورات الجمعية التاريخية التركية ٢٠٠٣.

TTK ، III/I، OSMANLI TARIHI،ISMAIL HAKKI UZUNÇARŞILI S. 355.، ANKARA 2003،BASIMEVI

-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، دار الجيل-بيروت.

-الموسوعة الميسرة في الديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، -الدولة العثمانية: تاريخ وحضارة مجموعة من المؤلفين، تعريب: صالح سعداوي، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلو، منظمة المؤتمر الإسلامي-إستانبول، ١٩٩٩م.

- بلدان الخلافة الشرقية (، تأليف: كي لسترنج، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م

-تاريخ نعيما ، طبع إسطنبول (باللغة العثمانية)

- حركة قاضي زاده: الاسم الذي أطلق على فئة الوعاظ التي ابتدأت بحركة دينية واجتماعية/ سميرآميس جاوش أغلو.- دائرة المعارف الإسلامية

-خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، دار صادر-بيروت

-دورية كان التاريخية [العدد السادس عشر؛ يونيو٢٠١٢، ص٩٥].

- رحلة ابن بطوطة (١٩٥/٢)، أكاديمية المملكة المغربية-الرباط، ١٤١٧هـ.

-رحل عشاقي زاده ذيل الشقائق (لوح: ٤٣)، تأليف: إبراهيم حسيب بن عبد الباقي الرومي المعروف بعشاقي، ليدن-هولندا تصويرًا عن مخطوط ة ابن بطوطة (١٩٥/٢)، أكاديمية المملكة المغربية-الرباط، ١٤١٧هـ.